Cordova Journal / *Jurnal kajian Bahasa dan Budaya*
terbit 2 kali setahun
Vol. 11, No. 1, 2021
https://journal.uinmataram.ac.id/index.php/cordova/index

دور اللغة العربية في بناء التواصل الأدبي بين العرب والنيجيريين

خليل الله محمد عثمان بودوفو

قسم اللغة العربية، جامعة إلورن، نيجيريا

Khalilulahgbodofu@gmail.com

khalilulahgbodofu@yahoo.com

ملخص البحث

لايخفى على أحد أن العلاقة التى كانت بين البلدان العربية ودولة نيجيريا قبل أيام الإستعمار البريطاني وبعدها علاقة تتمثل في التجارة والاقتصادحينا، وفي الثقافة والتعلم تارة، والدين الإسلامى طورا. وأما هذه الورقة فإننا نبحث فيها عن الطريقة التى سلكتها اللغة العربية في نيجيريا إلى انتشار وإزدهار، و عن الإسهام الذي قامت به هذه اللغة نحو ربط أبناء نيجيريا بالعرب من ناحية التواصيل الأدبي، حيث نذكر بإيجاز دور العلماء العرب في تعليم اللغة العربية للنيجيريين، ونتحدث عن وصف هولاء للبلاد العربية، وأولئك لدولة نيجيريا، وننظر إلى المعاركات الأدبية بين العرب وعلمائنا النيجيريين، كما ندرس تقريظ الكتب عند كليهما ثم نعرض المعارضة الشعرية بين العرب وأهل نيجيريا، ونلقى الضوء على دور كليهما في التعريب، ونجنح إلى المنهج الوصفى في تحليل النصوص الواردة في هذا العمل.

الكلمات المفتاحية: اللغة، العربية، التواصل، الأدبي، الدور.

المقدمة:

نلقي الضوء في هذه الورقة على الطريقة التي تغلغلت بها اللغة العربية إلى نيجيريا، ونتعرض لدور العرب في التعليم العربي في هذه البلاد، ونذكر النخبة من ا لنيجيريين الذين أتموا دراساتهم في بلاد العرب وبعض العرب الذين أكملوا دراساتهم في نيجيريا، ونبحث عن وصف الكتّاب للبلاد العربية ولدولة نيجيريا، وعن بعض النصوص العربية التي احتدمت حولها المعركة الأدبية، كما ندرس التقريظ عند العرب وعند النيجيريين، ثم ندرس المعارضة الشعرية بين العرب وأهل نيجيريا، ونتحدث عن التعريب عند العرب وعند النيجيريين، وفي هذا العمل نحلل النصوص الواردة تحليلا وصفيا، ثم نذكر المراجع أو المصادر.

دخول اللغة العربية في نيجيريا ودور العرب في التعليم العربي

لم تبرز نيجيريا بهذا الاسم ولا بصورتها الحالية إلا بعد مجيئ الاستعمار البريطاني في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي واستيلائه على البلاد بعد إخضاعها بقوة عسكرية حينا وبخداع حينا آخر، فالذي كان موجودا قبل هذا الوقت هو مماليك وولايات عدة، أشهرها مملكة كانم، برنو، وولايات هوسا ومملكة يوربا ومملكة نوبي ونحوها. (بودوفو، ٢٠١٣: ١٢٦). ولقد دخلت اللغة العربية إلى هذه البلاد عبر طريقتي التجارة والدين، وكان للتجار العرب قبل مجيئ الاسلام دور كبير في نشر كلمات عربية بين أهالى هذه البلاد ، وفي القرن السابع عشر الميلادي وجدت هذه اللغة طريقها الثاني إلى نيجيريا، ومهد لها هذا الطريق المجاهدون المجهولون وأصحاب الطرق الصوفية (بودوفو: ١٢٧)

وعلى أيدي هؤلاء تم إنشاء كتاتيب ومدارس لتعليم الصبيان والكبار، ومن مشاهير العلماء الذين نشروا الاسلام واللغة العربية في هذه البلاد، الشيخ يحي بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن الإمام علي كرم الله وجهه، والشيخ محمد زهرة التونسي، والشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلى التلمساني والإمام جلال الدين الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي وغيرهم.

وبعد استقلال هذه البلاد عام ١٩٦٠ أخذ آخرون من العلماء العرب يزورون هذه البلاد، منها الزيارات الرسمية، ومنها غير الرسمية، ولقد زار نيجيريا خلال هذا الوقت بعض أئمة

الحرمين الشريفين، وبعض شيوخ الأزهر الشريف وأعلامه، وكان لهذه الزيارات أثر مفيد للدعوة الاسلامية وتطور اللغة العربية، إذا قدمت للشعب النيجيري منحا دارسية كل من جمهورية مصر، والسودان، والعراق، والمملكة العربية السعودية. (بودوفو: ١٣٢)

وعلى إثر هذا، تخرج من جامعات البلاد العربية عدد من أبناء نيجيريا، ومن أبرزهم النيجيريين الذي أكملوا دراساتهم الدكتوراه في البلاد العربية: عليّ أبو بكر الذي نال الدكتوراه ١٩٦٧ من كلية آداب، جامعة القاهرة، ببحثه المعنون بـ "الثقافة العربية في نيجيريا" تحت إشراف الأستاذ الدكتور عبد العزيز الأهواني، ومنهم شيخ أحمد سعيد غلادنثى الذي انتهى من الدكتوراه ١٩٧٥م في كلية دار العلوم، جامعة القاهرة بكتابه المعنون بـ "حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا" تحت إشراف الأستاذ الدكتور أحمد هيكل والأستاذ الدكتور الطاهر أحمد مكي، ومنهم أحمد شيخ عبد السلام الذي درس الدكتوراه في جامعة اللخحرطوم بالسودان ١٩٩٠ تحت إشراف الأستاذ الدكتور نور دائم، وكتب بحثه عن "ظاهرة التجانس اللفظي في اللغة العربية"، ومنهم الدكتور قاسم البدماصى، الذي نال الدكتوراه عام ١٩٩٨ من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، كلية اللغة العربية، قسم النحو والصرف وفقه اللغة العربية، تحت إشراف الأستاذ الدكتور أحمد رصد، ومنهم عبد الرحمن أحمد الإمام الذي كتبوبحثه في الدكتوراه عنه والخطيب الشربيني وأعماله النحوية والتصريفية، ومنهم محمد الثاني إبراهيم الذي أكمل دراسته الدكتوراه بجامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المغرب ، تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد بونجمى ومنهم الخضر عبد الباقي محمد وغيرهم. وفي مقدمة كتاب الثقافة العربية في النيجيريا يقول عليّ أبوبكر ما نقتطفه في ما يأتي:

إن أصل هذا الكتاب رسالة للدكتوراه قدمتها في نوقمبر سنة ١٩٦٧م في نهاية دراستي العليا التي دامت خمس سنوات بكلية الآداب جامعة القاهرة، وكان المشرف على الرسالة هو الأستاذ الدكتور عبد العزيز الأهواني هو الذي اقترح عليّ هذا الموضوع القيّم يتصل بوطنى العزيز المفدّى: هو: "الثقافة" العربية في نيجيريا" فكم أنا مدين لسيادته على هذا الإقتراح الموفق الذي أتاح لي فرصة مكنتني من معرفة أشياء كثيرة هامة تتصل بهذه الثقافة، ويسرني وأي سرور أن أصرح بأن الرسالة قد نالت أعلى درجة تمنحها الجامعة وهي "الإمتياز بمرتبة الشرف الأول" (أبوبكر، ١٩٧٢: ٧)

وفي الحقيقة إن البعثات العلمية أنتجت خيرا كثيرا للغة العربية في نيجيريا، وللشعب النيجيري لافي ناحية الدين واللغة فقط، ولكن حتى في ناحية الحضارة والإقتصاد.

ومن الإنصاف أن نسجل هنا أسماء بعض أبناء العرب الذين أتوا إلى نيجيريا، وانتهوا في إحدى جامعات نيجيريا دراساتهم الدكتوراه في اللغة العربية، ومن هؤلاء محمد صالح حسين السوداني الذي درس الماجستير والدكتوراه في جامعة باير كنو، قسم اللغة العربية، وأما عنوان بحثه في الماجستير فهو: "الحصن الرصين للشيخ عبد الله بن فوديو: تحقيق ودراسة"، وفي الدكتوراه كتب عن "مساهمات علماء غرب إفريقيا في نمو وتطور النحو العربي دراسة لمنطقتي تمبكتو وبلاد هوسا في الفترة ما بين القرن السادس والتاسع عشر، والأستاذ علي نائبي سويد هو الذي أشرف على كل من البحثين. ومنهم سليمان عثمان سليمان السوداني الذي أكمل الماجستير بقسم اللغة العربية عام ١٩٩٣ بجامعة ميدغري، نيجيريا بالبحث المعنون بـ : "سلم الطلاب للشيخ محمد والي سليمان: شرح وتحقيق"، تحت إشراف محمد علي سليمان، ونال الدكتوراه بجامعة بايرو كنو عام ٢٠١١م وعنوان بحثه في ذلك هو: "مقدمة الطلاب للشيخ محمد بن عبدالرحمن البرناوي تحقيق ودراسة" تحت إشراف محمد أول أبوبكر، ومنهم حسن حمدي المصري الذي نال الدكتوراه عام ١٩٩٩م بالبحث المعنون بـ عناصر التجربة الشعرية في حكم وأمثال لدى الشيخ أبي بكر المسكين، ومنهم عبد العالي فائز عبد الحميد المصري الذي درس الدكتوراه في جامعة ولاية نصروا، نيجيريا.

التعريب بين العرب والنيجريين

نقصد بالتعريب هنا استعمال النيجيريين لفظ غير عربي في كلام العرب، وإجراء أحكام اللفظ العربي عليه، يتبين أن ذلك له وجود في المجتمع النيجيري، ذلك أن انتقال المفردات اللغوية، والمصطلحات من لغة إلى أخرى أمر طبعي، ومألوف، وشائع بين اللغات العالمية بسبب دقة اللغة المنقول منها، وحاجة اللغة الأخرى المنقول إليها. (يوسف، ٢٠٠٢: ٢٧٨)

أخذ علماء هذه البلاد يكتبون بعض لغاتهم بالرموز العربية واخترعوا رموزا فرعية لبعض الأصوات التي لم تكن له وجود في العربية، وفي لغة الهوسا مثلا ابتدعوا صوت :.ط ليقابل Isa Tsa ويكتبون م:.طين أجمى، وهو في الكتابة اللاتينية يكتبون Matsayin Ajami

أي مكانة العجمى وكذالك يستعملون صوت "ق" في مكان "Ka" ويقولون Kasar Hausa ، وصوت "ث" يستعملونه في محل "ci" ويكتبون غلادنث، وهو في اللاتنية Galandanci. وفي لغة اليوربا اقترح كل من أبي بكر يوسف الألوري والأستاذ الدكتور أحمد شيخ عبد السلام وغيرهما جملة من الآراء في تعريف ألفاظ لغة اليوربا، فالأصوات الصامته والصائتة التي تختص بها أحماليوربا، أمثال: " gba"،د و "p"، و "e" و"o" و"e" اقترح شيخ عبد السلام كتابتها عربيايب بالرموز التابية.

غب/،ب/،ي/،و/يْ/ كما وردت في مثل gbogbo غبوغبو "الجميع" paapaa= باابا (الحقيقة) Ife = ي في (الحب) Kaabo= كاابو (مرحبا) Jade= جادى (خرج). (يوسف: ٢٨٣)

وكان أهل نيجيريا يعتنفون ببعض المصطلحات التي كان عليها اللغويون العرب من مصطلحات علمية وحضارية، منها قول آدم نماجي الكنوي:

ركبت القطارات على السكة الحديدية والألتومبيلات استطاعا للأخيار، واقتناصا للتواريخ. (يوسف: ٣٠٦) وفي تحليل هذا لنهى يقول سليمان لولف: جمع الكنوي في كلامه بين عربي الأصل والمعرَّب من الألفاظ تعبيرا عن بعض المخترعات، مما يدل دلالة جلية على جواز الربط بين المقلبين: الحرفي والمعنوي، كالأصل بين"القطارات" والسكة "الحديدية" والأتومبيلات. فاللفظ الأخير بالذات أعجمى مولد أو معرّب (٤) ومن طراز هذا قول آدم عبد الله الألورى:

لقد هيأت الحضارة للدعوة إلى الإسلام ميدانا جديدا في وسائل الإعلام من الإذاعة والتلفزة...(يوسف: ٣٠٦).

فالتلفزة تعقريب اصطلاحي لكلمة Television الانجليزية. ومن هنذا يتضحع أن النيجيريين الذين يعملون في التعلقريب إنما يعملون فيه اقتداءً بالعلماء العرب الذين عملوا أو يعملون فيه قبلهم لأجل الدين الإسلام، والثقافة العربية. ولهذا نرى أنّه لايتم التعقريب بين الفريقين: العربى والنيجيري إلا بالحروف العربية مع عدلم الاعتماد على أي قادة من القواعد أو ضابط من الضوابط الموضوعة، فالمحاولات الفردية هي سائدة في نيجيريا، إذ ليس عندنا بعد، ما يمثل المجامع اللغوية كالتي توجد في البلاد هم العربية.

تقريظ الكتب بين العرب والنيجيريين

إذا صنف مؤلف في فن من الفنون، أو نظم شاعر قصيدة فأجاد فيها، كتب له أهل تلك الصناعة تقريظا يمد حونه فيه، ويأتي كل منهم بما في وسعه من البلاغة. (بدوي، ٢٠٠٣: ٥٨٨) ومن أنواع هذا التقريظ ما كتبه سيد أبو إدريس أبو عاقلة، أستاذ الأدب العربي، بجامعة الجزيرة جمهورية السودان في تقريظ ديوان أفراح وأتراح، حيث يقولقال:

القصيدة عند هذا الشاعر تموج بالحركة والجدل والحوار الداخلي الذي ينوّع المواقع، ويزيل الرتابة... ولا يخلو هذا الشعر من خيال تكتمل به الصورة علاوة على اللغة والبلاغة، والحركة الداخلية والايقاع المثير!! وفي ثنايا الشعر الذي يتكيئ على الوجدان ومعتقد الأديب الذي يذكى ضرام القول عنده فهذا يؤصل أيضا الجانب الإنساني الذي يؤيد الإنتاج الأدبي، إن إنه يؤكد القيمة الأدبية التي تعتد لقيمة الإنسان والجانب التربوى لبناء الإنسان وهذا لعمرى قمة سنام الأدب الذي يتخذ أداة لبناء الأمم والأفراد

من خلال هذا العصر الأدبي الرائع، الحائز قامات النضيع، و...من خلال هذه الأشعار الفذة لهذا الشاعر العبقري، تكاد تحسن بنيجيريا طبيعة البشر، مما يجعل هذا النوع من الشعر تعريفا وتوثيقا، وهذه قيمة جديرة بأن يعنى بها الأدب، وتخرجه لدائرة العالميةن في حجملة القيم والعادات والمعاني ذات الغور الإنساني، وتجعل الشاعر دليل قومه، وهو ترجمان قلوبهم، ومعبد دروبهم، والهاتف بمجدهم في العالمين. وهذه التجربة جديدة بأن تضاف لتجارب اللغة العربية، وهي مفتاح لمغالقة كثيرة، بل درب معبد للتلاقع الثقافي.

وأخيرا، نرجو للأديب الشاعر عبدالرحمنضى عمر بغاراوا والتقدم والترقي في درج الكمالات فإن رأينا في جودة شعره لا يعتريه وهن. (بغاراوا، ٢٠١٩: ١٠-١١)

وبهذا النموذج نجد أن التقريظ عند طائفة من العلماء والأدباء يتضمن نوعا من أنواع المحسنات البديعية من سجع وجناس ومبالغة، وأما المقترظ في نيجيريا فإنه يثني كثيرا على الكتاب أو صاحبه. ومن أمثال ذلكذلك التقريظ الذي كتبه أبيو بكر محمود جومى للكتاب الموسوم بـ فيه محمد نصيف: حياته وآثاره، للأستاذين: محمد أحمد سيد أحمد، وعبده أحمد العلوي،" يقول جومي:

عرفت الشيخ الفاضل والعالم السلفى محمد حسين نصيف رحمه الله تعالى، عند ما كنت سكريترا الشؤون الحج (الحجاج الأفارقة) وقد سكنت في جدة للعمل سنة ١٩٥٧م إلى سنة ١٩٥٨م فكان رحمه الله يدعون مع جماعة إلى داره العامرة، لتناول طعام الغداء، الذي ليصنعه لإكرام العلماء وغيرهم من يوم لآخر،ة ثم يختم لنا بتوزيع الكتب القيمة علينا، مثل كتاب التركيب والترهيب للمنذري، فمنه تعلمنا أخلاقا جميلة، وصفات حميدرة، والتي يجب أن يصف بها كل مسلم مؤمن بالله ومن جملة هذه الأخلاق التي استفدناها من هذا الكتاب المتواضع، الحلم، الصبر،ء الصدق، الإاخلاص، حسن العشرة، الرفق في الدعوة إلى الله، وغير ذلك فالله تعالى أسأل أن يجزي عنا الشيخ محمد النصيف أحسن الجزاء لما قدم وبذل في خدمة العلم والعلماء وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . (العلوي، ١٩٩٤: ٣٦٥)

نرى في هذا النص أن جومي المقرظ يولع بالذين وبالأفكار بالألفاظ الدينية، وينكب مما جعله عريعا في الثناء والاطراء، ومنكبا على البديع والاقتباسات، وهناك فرق بين أمثال هذه التقاريظ والتي يكتبها اليوم بعض العلماء في نيجيريا، فإنهم يكتبون التقاريظ، ويشيرون إلى أماكن الحسن في الكتاب وإلى مواضيع القبح فيه، ولعل هذا ممها أدي إلى أن يصير التقريظ فنا من فنون الأدب العربي في نيجيريا.

وصف دولة نيجيريا والبلاد العربية في الكتب المنشورة

ننظرها هنا إلى ما سجله العرب في الكتب عن نيجيريا وما قاله النجيرييون عن البلاد العربية، إذا اشتهر بين العرب أعلام زاروا نيجيريا، ودنونواما ما سمعوه البلاد أو ما وقعت عليه آذانهم أو عيونهم من شخصياتا نيجيريا ومواقعها وأحداثها.

ومن هؤلاء العرب الشيخ محمد ناصر العبودي الذي يعتبر من هواة السفر والرحلة، وهو كثير الانتاج، وواسع المعارف، ألف في الرحلة نحو مائة وسبعة وثمانين كتابا، منها كتابه الذي أسماه ب: شاستهر في غرب إفريقيا، والمستفاد من السفر إلى تتشاد، وقصةه نيجيريا. (الكنكاوي، ٢٠٢٠: ٢١)

وفي وصف مشاهداته في نيجيريا يقول:

من المناظر الطفريفقة في هذا الحير النيجيري الراقي، أن رأيت سقاء يحمل على كتفه صحيفتين من الماء قد علقهما في عصا غليظة، فأصبحا ككفتى الميزان، كما كان السقاؤون عندنا في مكة المكرمة يفعلون في الزمن القديم، وهو بعمله هذا يعرض الماء للبيع لمن يشتريبه. (الكنكاوي: ٤٦)

تلاحظ يرى من يرجع إلى ما كتبيهة العبودى عنى نيجيريا، أنه لم يترك موضوعا إلا كتب فيه، كتب في شؤون العلماء ومناهجم المدارس، وفي أحوال الشخصيات والأثبي ص البارزة،، والمواضع الجغرافية، وطبائع المواطنين، والمواقع الجغرافية البلاد وغير ذلك.

وهو يعنى في كتاباتهة بالألألفاظ والمعاني ملائمة، وأساليب طيبة عناية تدل على تضلعه في اللغة العربية. وعلى ضوء هذا كان النيجيريون يكتبون عن البلاد العربية. ولقد سافرق عدد كبير من علماء نيجيريا إلى المملكة العربية، ومقصر، واليمن، والعراق، وعمان، والمغرب، والسودان ونحوها، وكان هؤلاء العلماء يسجلون ما رأوه في البلاد العربية ويدونون ما عثروا عليها أو وجدوها عند العرب، الوزير جنيد الذي زار ليبيا ووصف طرابلس العاصمة، وقال:

فلا تسأل عن حسنة وطيب هوائها، وكثرة عرباتها التي تجرها الخيول الجميلة، والحمر الكبيرة بين المباني الشاهقة، والخطوط المعدلة والطرق النظيفة الواسطة، والمصابيح الكهربائية المتطونة، والدكاكين المفتوحة التي تزدهر بالبضائع الرائقة والسلائع الفاخرة... (الأول، ١٩٩٥: ٨)

يتميز أسلوب الوزير جنيد في هذا الوصف بالدبياجات اللفظية وبالجزالات في المعاني التعبيرية، ومن أنواع هذا اللون ما سجله مشهود جمبا الذي يقول عن مدينة عمان:

علماء هذه ودونوا ما رأوه ومن ذلك ما نحله شهود حمبا عن عمان: يقول:

إن للسيرد داخل عمان مذاقا متميزا، خاصة في الأحياء الشعبية حيث يرى المرء العمارات مكتظة ومتزاحمة في أعالي الجيال شستمالا وجنوبغوبا، وهي تشبه للناظر من بعيد علب كبريت متلاصقة مرتبية ترتيبا بديعا.

انعطفنا نحو منطقة أبو عَلَنْدا فتوقف السائق هنيئة لشراء بعض الأطعمة فقدم لنا خبزًا مستديرا الشكل بداخله بلح، وبعض المشروبات واشترينا نحن الموز وموزهم من الأغذية المعدللة

وراثيا (Gmo) فهو- وإن كان يبدو للناظر ياإينعا ناضجاى — في المضغ صلب، وفي المذاق حمص ودون موزنا في نيجيريا لذة. (جمبا، ٢٠١٩: ١١)

وأما جمبا بهذا النص فإنه يصف لنا مدينة عمان بالمملكة الأردنية الهاشمية بصورة واضحة، ويقوم أسلوبه في الوصف على السهولة والوضوح، مع توفير الجزالة والرصانة.

التبادل الشعري بين العرب والنيجيريين

أخذ علماء اللغة العربية في نيجيريا يتبادلون الشعر مع العرب، ويبعارضصونهم في عدد من الأأغعراض الشعرية، منهم عيسى ألبي أبوبكر الذي عارض عبد الرحمن العشماوي السعودي في قصيدة قالها في وصف وباء كَوْرَوْنَا. قال العشماوي:

أهكذ تللسجن الدنيا ومن فيها ** سجنا يكبل قاصيها ودانيها
ماذا دهاك كرونا أنت مختبئ ** عن أعين لم تزل تبكي بواكيها
حجبت كل حبيب عن أحبته ** فما تصافح كف ممن يحكييها
حرمتهم من لقاءات محجبة ** فلم يعد بيجمع القربى تلاقيها
من أنت كيف أقحمت الأرض قاطبة ** حتى سرى منك رعب في نواحيها

(مكتبة الباحث، ٢٠٢٠: ٩)

وأما الشاعر النيجيري عيس ألبي أبوبكر فقد سار على النمط الذي سار عليه العشماوى وعارضه معارضه طيبة، وقال:

رب القصائد للإفهام تجريها ** كما تشاء بلا لأي وترسيها
أبدعت في وصف "كرورنا" فحركنى ** وكانت النفس تبغي من يسليها
هذه البلية أبدعت ضعف قوتنا ** ما لا يرى عذاب الدينا ومن فيها
جنود ربك ذرات تهددنا ** وصيرتنا قعيدي الدار نحميها
تصلو وتعبث بالأنفاس ترسلها ** عند الصباح وفي الإمساء ترديها
قد حيرت خبراء الطب قاطبة ** أين الطبيب الذى يدرى معاينها (مكتبة الباحث: ١٣)

ومن أمثال هذه المعارضة ماجرى بين شعيب عليي الكنكاوي النيجيري، وأستاذه ناصر الرشيد السعودي، أستاذ الأدب القديم في جامعة الملك سعود، بالرياض يمدح الكنتكاوى النيجيري هذا الأستاذ ويقول:

طابت بخلقك مرشدي دنياكا ** ولذا يعزك دائما مولاكا
وطمت بجهدك يا رشيسد" بحبجورنا ** وتدفقت أمواجها بجداكا (مكتبة الباحث: ١٤)
وزهت بسهيك بالفنون عقولنا ** وتحركت سكناتها بعلا كا
بتعلم وتأدب وتثقف ** وتفلسف وتجمل لهداكا
ولقد حباك الله خلق محمد ** من أجل ذا كل الورى يهواكا

وفي الرد على هذه القصيدة يقول الأستاذ ناصر الرشيد:

الله إن عتم المدى يرعاكا ** حتى تقر بنوره عياكا
فإذا الطريق أمامكم هو لاحب ** وإذا الوصول فلا تزل خطاكا
أ"شعيب" نفقه ما تقول فإننا ** ندعو الإله بأن يشيد علاكا (مكتبة الباحث: ٧١)

إن القلوب إذا تألف ودّها ** ألقت أن الخير في دنياكا
نيجيريا قد أوفرت لأرضنا ** تجني العلوم بها فطاب جناكا
فلأنت موفرها وأنت رسولها ** قد كفوك أمانة لذكاكا
ولأنت عندهم الفتى متأملا ** ألا تخيب محققا مسعاكا
فأسهر على طلب العلوم تلذذا ** إن لإله يحفظه يرعاكا

نفلا حظ أن الأستاذ ناصر الرشيد يقدر قصيدة طالبه الكنكاوي، ويعجب بها ولهذا أخذ ينسيج على منوال القصيدته، ليربط حبل الإخاء والمودة بينه وبين طالبه ربطا فنيًّا. مخلدا

المعركة العلمية بين العرب والنيجيريين

يعد الأستاذ علي نائبي ويد من أبرز علماء نيجيريا الذين خاضوا غمار المعركة مع العرب، كتب علي نائبي سويد في الجزء الأول من مجلة "دراسات عربية" التي يتصدرها قسمقمر اللغة العربية، جامعة باير كنو، نيجيريا، مقالا بعنوان "مشاكل النحو العربي كما عرضها ابن مضاء" وعالابجع فيه موضوع تقسيم الجملة العربية إلى االسمية وفعلية، عند النحويين وخاصة عند إبراهيم مصطفى ومهدي المخزومي. (سويد، ٢٠٠٨: ٥٥) ونحوهما، ولما اطلع المخزومي وإلى الأساس التقليدي لهذا التقسيم الذي اتخذه الأستاذ إبراهيم مصطفى، وتبعه فيه طائفة من اللغويين المحدثين ومن بينهم الأستاذ الدكتور مهدى المخزوحي، أستاذ النحو والصرف والمحاضر بكلية الآداب جامعة بغداد.

وبعد أن اطلع الأستاذ المخزوحي على المفقال الأستاذ يويد رأى أن فيه ما يخصه، فكتب رسالة إلى سويدر و إلى قمر قسم اللغة العربية بجامعة باير و كنو، يرد في هذه الرسالة على سويد. فلنستمع إلى سويد أولا حيث ناقش رأى المخزومحى. ويقول قال:

> وصنع ابن مضاء قاعدة صغيرة تفسير صيغ الاشتغال كلها ومتى تنصب ومتى ترفع وهي: إن الاسم المتقدم إذا عاد عليه ضمير منصوب أو ضمير متصل منصوب نصب: (زيدا ضربته في محل نصب، وإلا رفع لأنه في محل رفع ولذلك حل باب الاشتغال وأراحنا من تعسف النحاة في حمل أمثلة تارة على النصب وتارة على الرفع وهو بهذه الصنيعة كماهي.
>
> وهو يخالف مهدى المخزومى الذي أراد —هو الآخر– حل الباب لكنه سلك مسلك النحوي المتعسف المتفلسف في هذا الموضوعيريد المخزومى يريد أن يحل باب الاشتغال بطريقة تقسيم جديد للجمل في اللغة العربية وهذا التقسيم يرجعه إلى المسند من حيث كونه متجددا مستمرا، واستمع إليه وهو يقول بعد أن علق على رأى والمخزومى :

هذا ما يقوله مهدى المخزومى وهو — من غير شك — يتفق مع ابن مضاء في النداء إلى إلغاء موضوع لاشتغال في النحو العربي، إلا أن الطريقة التي اتبعها لتحقيق هذا الغعرض فيهنا نوع من التعسف والتفلسف، لأن، طبيعة اللغة العربية لا تتفق مع ما يصبو إليه، نحن لا نؤمن بأن الرجوع إلى المسند يكون أساسا لتقسيم الجمل في اللغة العربية لأمور، منها: – قد يكون المسند

في اللغة العربية فعلا غير قابل للتجدد كما في قولك فلان مات- فلان عور- فلان عمى- الثمر أحمر- أحمر التمر فإذا كان التجدد أو الا يستمرار يكون سببا ودليلا على الجملة الفععقلية، ما يسمى المخزوحى هذه الجمل حينئذ؟

ي١- يقال في اللغة العربية ما يلى:

محمد قام أو قائم قام محمد

المحمدان قاما أو قائمان قام محمد

المحمدون قاموا أو قائمون قام المحمدون

ب-

فاطمة قامت أو قائمة قامت فاطمة

الفاطمتان قامت أو قائمتان قامت الفاطماتان

الفاطمات قامت أو قائمات قامت الفاطمات

لمجرد المقارنة بين جمل المحمد عتين السابقئين يتضع أن الجمل الإسمية تختلف عن الجمل الفعلية من حيث مطابقة المسند إليه في الجمل الإسمية وعدمها في الجمل الفعلية، وهذا الاختلاف يدل دلالة واضحة على أن طبيعة الحملتين.

٣- الجمل الإسمية- لما يقول الاستاذ الدكتور عبد الرحمن أيوب- تختلف عن الجمل الفعلية من حيث أداة النفر التى تدخل عليها ذلك أن الجمل الإسمية تنفى بـ "ليس" ولم يكن، تقول في :

محمد قائم ليس محمد قائما

محمد يقوم ليس محمد يقوم في نفر لاالحا

وتقول:

لم يكن محمد قائما، ولم يكن محمد يقوم- في نفر الماض، أما الجمل الفعلية فتنفر بـ "لم- لن- لما"... تقول في نفى: قام محمد، يقوم محمد، ما قام محمد — لم يقم محمد — لن يقوم محمد، لما يقم محمد.

كل هذه الأمور تدل على أن طبيعة الجملتين الاسمية والفعلية- تختلف إحداهما على الأخرى كما أشرت وليس هذا راجعا إلى طبيعة المسند كما يزعم مهدى المخزومى

يبدوا في هذه النصوص أن سويد يقف مضادا عن موقف الأستاذ مهدى المخزومى في بعض المقاييس النحوية ويحصب عليه ما وقع عليه من الأخطاء الفكرية في الجمل الاسمية والفعلية، وكثيرا ما تحدث مثل هذه المعارك العلمية بين بلاد عربية وتبلاد عربية أخرى عن أو بين واحد عربيّ في الدم واللحم وعربي آخر مثله، ولكن المعاركة مثل هذه أي بين عربي في البلاد العربية ونيجيري فى أفريقيا الغربية فهو نادر جرحدا، ولم نعثر عليه وخاصة في المسائل النحوية مثل هذه، ولعل هذا مما أدى الأستاذ المخزومى إلى أن يقول:

اندفع إلى ذهنى بعض الملاحظات وددت أن أهمس بها إلى الباحث الفاصل

(١) ففي رده على ما ذهبت إليه من أن تقسيم الجملة إلى فعلية واسمية يرجع إلى المسند من حيث كونه متغيرًا، ومن حيث كونه ثابتا لا يتغير، بعض المغالطة التي كنت أود ألا يقع فيها، فالأفعال التي ذكرها في بحثه القيم (ص.٦) من دد دراسات عربية): مات، عور، احمر وغيرها كلها تغيرة، لأن الموت كما يقع في صيغة (مات) يقع في صيغة (يموت) وكذلك عور ويعور واحمر ويحمر وهذا هو التغيير الذي يعنيه من رأيى أن الفعل يدل على التجدد والتغير، لاحتوائه على الزمان الذي يكون ماضيا، وقد يكون حاضرا، وقد يكون مستقبلا. نعم إن (مات وعور واحمر) أفعال قابلة للتفاوت ولكن لا يعنى أنها لا تتغير بتغير زمانها...

(٢) لست مع من يرى أن الجملتين تختلفان من حيث أداة النفي، ويرى أن الجمل، الاسمية تنفي بليس، ولم يكن، والجمل الفعلية تنفي بلم ولن ولما وما، لأن (ليس) ينفى بها الجمل الفعلية كما ينفى بها الجمل الاسمية، وذلك مثل قولهم: ((ليس خلق الله مثله)) ومثل قول سويد اليشكري:

فتأتينا بحر نافع ** في مقام ليس يشنيه الورع

وقول ذي الأصبع العدواني:

فإن ترد عرض الدنيا بمنقصتي ** فإن ذلك مما ليس ليشجيني

(ليس يشجيني) بمنزلة (ما يشجيني) ولا أظن الباحث يوافق النحاة المناطقة المتأخرين في أن (ليس) هنا من النواسخ ويروح يؤول ويقدر حتى يستوى لليس اسمها وخيرها.

(ليس) هنا وفي غير هذه الأمثلة ما هو أكثر من أي يحص أداة نفي مثل (ما) النافية، وقد استندمت هنا لنفى الجملة الفعلية.

(٣) وبالنسبة إلى ما جاء في ص ٦١ أقول:

إن التمثيل لقولنا: الحمدان قاما أو قائمان لا يفصل فصلا جديدا بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية لأن مثل هذه المطابقة غير مطردة، فإذا قيل: الحمدان قام أبوهما، أو قائم أبواهما فلسنا نجد المطابقة بين المسند إليه ولفظ المسند، حتى الأمثلة المثبتة لا تدل به على شيء لأن الألف في (قاما) كالألف في (قائمان) وهي حرف في كليهما، ولا يعقل أن تسلك في الضمائر، وإنما يؤتي بها، وبالواو أختها لتحقيق المطابقة في العدد بين المسند إليه والمسند كالمطابقة بينهما في التأنيث وفي العدد أيضا إذا تقدم المسند في الجملة الفعلية كقوله تعالى. ((وأسورا النحوى الذين طلموا)) فالفاعل هنا هو (الذين) ولا يعقل أن تكون الواو فاعلا، لأنها لست السما ولا كناية عن الاسم إنها حرف دال على الجمع، ولا وظيفة لها غير ذلك.

ولست أيها الأستاذ الفاضل بمتعسف ولا بمتفعلسف حين أزعم أن الفرق بين الجملة الفعلية والجملة الاسمية إنما يتمثل في المسند فحين يكون المسند متجددا متغير، وذلك حين يكون فعلا، تكون الجملة الفعلية تقدم المسند إليه أو تأخر، وحيث يكون المسند ثابتا لا يتغير ولا يتجدد تكون الجملة اسمية، ولا أظن في هذا تعسفا أو تفعلسفا (سويد: ٥٩)

يبدو أن هذه المعركة شبت بين المخزومى وسويد إثر درا ساتهما للجمل الفعلية والاسمية وإلغاء الإشتغال من النحو العربي، وهذه المسألة والمعركة حولها تدل على تطور اللغة العربية في نيجيريا وعلى أن النحو العربي مما يعقد الصلة والقرابة بين العرب والنيجيريين. وهو قف كل واحد منهما تجاه هذه المسألة يدل على لغور اللغة العربية في نيجيريا وعلى أن النحو العربي مما يعقد الصلة والقرابة بين العرب والنيجيريين.

الخاتمة

في هذه الدراسة الوجيزة عرضنا نشأة اللغة العربية في نيجيريا، والطريقة التي دخلت بها إلى هذه البلاد، وذكرنا عددا من المظاهر الأدبية التي تعقد العلاقة بين العرب والنيجيريين، ودرسنا هذه المظاهر في ضوء المنهج الوصفي، حيث تحدثنا عن التعريب بين العرب والنيجيريين،

مشيرا إلى أن أهل نيجيريا ما زالوا يقتدون بالعرب في هذا الصدد. وفي مسألة تقريظ الكتب ناقشنا إسهامات العرب والنيجيريين بالإيجاز فيها، وقلنا إن التقريظ فن من فنون الثنر العربي النيجيري، وسلطنا الضوء على دور العرب والنيجيريين في وصف المدن، وخاصة دولة نيجيريا، والبلاد العربية، ثم نظرنا إلى ما للعرب والنيجيريين من المعارضات الشعرية فيما بينهما، وآتينا في هذا الموضوع النماذج الشعرية من كل طرف، وبعد ذلك تحدثنا بالاقتصار عن بعض المعارك العلمية التي قامت بين العرب والنيجيريين وخاصة في النحو العربي. ومن هنا رأينا أن القواعد النحوية والصرفية مما يعقد الصلة والقرابة بين العرب والنيجيريين، ومن ذلك انتهينا إلى التوصيات والاقتراحات لتشجيع دارسي اللغة العربية في نيجيريا ولتوطيد العلاقة الودية والفنية بينهم وبين إخوانهم العرب.

التوصيات والاقتراحات

هذا الباحث ليس بصاحب التجارب والخبرات عن موضوع التواصل الأدبي بين العرب والنيجيريين حتى يأتي باقتراحات أو يدعوا إلى توصيات، لأن هناك عددا في هذه البلاد من العلماء الأكاديميين الدبلوماسيين الذي هم أحق اقتراحات وتوصيات من هذا الباحث، ولكن من الضروري أن يقول الباحث شيئا عن هذا الموضوع. وأما اقتراحاته وتوصياته فهي كالآتي:

١- نوصي دارسي اللغة العربية في نيجيريا أن يهتموا بالتراث العربي في بلادهم، وأن يعضوا عليه بالنواجد.

٢- دعوة الحكومة الفيدرالية النيجيرية إلى تغيير سياستها الدبلوماسية في صالح دارسي اللغة العربية بإرسالهم كالسفراء والقنصليين إلى الدول العربية والإسلامية.

٣- إعادة النظر في سلوك بعض دارسي اللغة العربية في نيجيريا بأن يلازموا الكتابة والخطابة بها مع تلامذتهم وأبنائهم.

٤- إقامة العلاقات الثقافية، وتبادل الخبرات وعقد المؤتمرات مع عدد من الجامعات العربية من أجل التعاون في سبيل تطوير التعليم العربي في الجامعات النيجيرية.

صيانة المخطالمخطوطات العربية النيجيرية من ضياع واضمحلال، وذلك بحمايتها في المكتبات العامة في نيجيريا وفي البلاد العربية وغيرها.

References

Abubakri, ‘Aliyy (1972) *Ath-Thaqafatul ‘Arabiyyah fii Naijiriyah*, Abdul Hafeedh company for book binding and publishing.

Al’Ulawiyy, Muhammad bin Ahmad wa’abduhu bin Ahmad (1994) *Muhammad Naseef Hayatuhu Wa-Aatharuhu*, Almaktabul Islamiyy, Beirut,

Al-Awwal, ‘Abdur Raheem ‘Isa (1995) *Min Adabir Rihlatil ‘Arabiyyah fii Naijiriyah: Dirasatun Tahliiliyatun Limakhtuutati “Ar-Rihlatul Fakhiratu ila Libiya Wa Sudanwal Qahirah lilwazeer Junaid*, Journal JARS, Department of Religions, Edition 71, University of Ilorin, Ilorin, Nigeria.

Al-Kankawiy, Shuaib Ali (2020) *Rihlaat Muhammad bin Naasir Al’ubuudiy ilaa Garbi Afriqiyyah: Dirasatan Faniyyatan*, Thesis submitted to Faculty of Arts, Department of Arabic language, King Sa’ud University.

Badawiy, Ahmad Ahmad (2003) *Ususu N-naqdil Adabiyyi ‘indal ‘Arab*, Daar Nahdah for publishing and circulation, Cairo.

Bagarawa, ‘Abdur-Rahman ‘Umar (2019) *Diiwanu Afraahi Wa-Atraahi*, Daarut-Tab’I.

Gbodofu, Khaleel Muhammad ‘Uthman (2013) *At-Tahaddiyaat Lati Tuwaajihu Lugati-l-‘Arabiyyah fii Naijiriyah Khilaala-l-Qarnil ‘ishiriin*, Journal of Arabic and Translation.

Jimba, Mashood Muhammad Mahmud (2019) *Ar-Rihlatul Baahiyatuilal Mamlakatil Urduuniyatil Haashimiyah*, Alabi Publication.

Suwaid, ‘Ali Naibi (2008) *Suwarun fii Asbaabi Mashaakil N-Nahwil ‘Arabi: Dirasatun Wataojihun*, Matba’atu Daaril Ummah, Kano, Naijiriyah.

Yusuf, Sulaiman Alabi (2002) *Al-Qaamusu Lugawiyyu ‘inda ‘Ulamahi Lugati-l-‘Arabiyyati fii Naijiriyah*, A project submitted in partial fulfillment of PhD Degree in Arabic language, Arabic language unit, Religions Department, Faculty of Arts, University of Ilorin, Ilorin, Nigeria.